تدبير اللطيف بي وها انا اذكر لك نفسي لي همة عالية وانا في المكتب ابن ست سنين
وانا قرين الصبيان قد رزقت عقلا وافرا يزيد على عقل الشيوخ فما اذكر
اني لعبت في طريق مع الصبيان قط ولا ضحكت ضحكا خارجا كنت
احضر الى مجالس الحديث فاحفظ جميع ما اسمعه واذهب الى البيت فاكتبه
ولقد كان الصبيان ينزلون الى دجلة ويتفرجون على الجسر وانا في زمن الصغر
اخذ جزءا واقعد بعيدا من الناس فاشتغل بالعلم ثم الهمت الزهد فسردت الصوم
وتشاغلت بالتقلل والزمت نفسي الصبر واستمرت ولازمت السهر ولم اقنع بفن
من العلوم بل كنت اسمع الفقه والوعظ والحديث واتبع الزهاد ثم قرات اللغة
ولم اترك احدا ممن يروي ويعظ الا واحضره فاثمرت وكنت اذا عرض لي
امران قدمت في اغلب الاحوال حق الحق سبحانه فاحسن تدبيري وتربيتي واجراني
على ما هو الاصلح لي ودفع عني الاعداء والحساد وهيا لي اسباب العلم وبعث لي
من الكتب من حيث لا احتسب ورزقني الفهم وسرعة الخط وجودة التصنيف
وساق لي من الرزق فوق الكفاية والكثير ووضع لي من القبول في قلوب الخلق
فوق الحد فلا يرتابون بصحته وقد اسلم على يدي نحو مائتين وتاب في مجالسي
اكثر من مائة الف وما اذلني لمخلوق قط فانتبه يا بني لنفسك واندم على
ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق السابقين ما دام في الوقت سعة فقد كان
السلف الصالح رحمهم الله يحبون جمع كل فضيلة ويبكون على فوات واحدة فحكي
ذكر ان اقواما راوا عابدا وهو يبكي فقالوا ما يبكيك فقال على يوم مضى ما صمته وعلى
ليلة مضت ما قمتها واعلم ان كل نفس من انفاسك كخزانة فان
ذاهبة

ذهبت انفاسك في بطالة وجدت خزانتك فارغة وقيل لعامر بن عبد قيس
قف اكلمك فقال امسك الشمس وقعد قوم عند معروف فقال اما تريدون ان
تقوموا فان ملك الشمس يجرها لا يفتر وفي الحديث من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست
له نخلة في الجنة فانظر الى مضيع الساعات كم يفوته من النخل وقد كان السلف
يغتنمون اللحظات فكان اربعون رجلا يصلون الصبح بوضوء العشاء الآخرة
وكانت رابعة العدوية تحيي الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة خفيفة ثم قامت
فزعة وتقول لنفسها النوم في القبر طويل ولا يؤيسنك يا بني ما مضى من التفريط فقد
انتبه خلق كثير بعد الرقاد الطويل فقد حدثني الشيخ ابو حكيم عن الشيخ
ابي الحسن الدامغاني قال كنت في صبوتي متشاغلا بالبطالة غير ملتفت
الى العلم فاحضرني ابو عبد الله رحمه الله وقال يا بني لست ابقى لك ابدا فخذ عشرين دينارا
وافتح لك دكان خباز فقلت له تقول لي هذا وانا ابن الشيخ ابي عبد الله الدامغاني
قال فما اراك تحب العلم فعند ذلك اقبلت على الاشتغال بالعلم فالزم نفسك
يا بني الانتباه عند طلوع الفجر ولا تتحدث بحديث الدنيا فقد كان السلف لا يتكلمون
في ذلك الوقت بشيء من امور الدنيا وقل عند انتباهك من النوم الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع على الارض
الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم فاذا صليت الصبح فاجلس مستقبل
القبلة واشتغل بذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قم فصل ركعتين ثم اشتغل بالعلوم
والنهار تصحيح القران ثم الفقه حتى ترتفع الشمس وصل الضحى ثمان ركعات ثم اشتغل
بالعلم سائر نهارك فاذا صليت المغرب فصل ركعتين تقرا فيهما جزئين

Copyright © King Saud University